سبل إصلاح الإنسان في القرآن الكريم

سورة العصر أنموذجًا

إعداد: د. إسماعيل عاشور بن صليل

د. محمد عمران شلفاح

مقدمة

إن من حكمة الله تعالى أن خلق الإنسان وأنشأه في هذه الأرض وجعلها له سكنًا وخلفة وإعمارًا قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[1]؛ ولأجل هذا الإعمار والإنشاء بعث الله الرسل مبشّرين ومنذرين ودعاة لهديه المستقيم. قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[2]، فكان يبعث لكل قوم من الأقوام رسلا من عند أنفسهم يدعونهم إلى الخير ويحذرونهم من الشر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

[1] هود: 61.

[2] النساء: 165.

ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[1]، يبّن لهم طريق الخير فيلتزموه ويعملوا ويدعو إليه، ويبين لهم طريق الشّر فيجتنبوه ويحذروه.

وكذلك جاءت الرسالة المحمدية وهي خاتمة الرسالات على نحو ما جاءت به الرسالات السابقة إلا أنها امتازت بالعالمية وإرسالها للناس كافة، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)[2]، وقال ﷺ: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة)[3]،والمتأمل في كتاب الله تعالى يتّضح له مدى اهتمامه بالإنسان وحرصه على بيان طرق إصلاح نفسه وتزكيتها، فهو كتاب هداية ونور، قال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }4.

ذكر الشيخ السّعدي في تفسيره أن النور هو: القرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة، وأن الكتاب المبين هوكل ما يحتاجه الخلق من أمورهم الدينية والدنيوية من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكذلك من العلم بأحكامه الشرعية والجزائية، ثم ذكر طريق الهداية بالقرآن، فقال: (يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ

---

[1] إبراهيم: 4.

[2] سبأ: 28.

[3] أخرجه البخاريفي صحيحه، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، الحديث رقم: 438، ج1، ص95.

[4] المائدة: 15، 16.

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ) أي: يهدي به من اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسنا،وسبل السلام التي تسلم صاحبها من العذاب، وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به إجمالا وتفصيلا، ويخرجهم من ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة، إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم والذكر، وكل هذه الهداية بإذن الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[1]، وبهذا فإن على المسلمين جميعا أن يبادروا في الأخذ بكتاب الله العزيز، وأن يستنيروا بهديه المستقيم، ويلزموا سنة رسوله الكريم، والدعوة إلى التمسك بها والصبر عليها، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[2]، ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لسورة العصر كنموذج لهذه الدراسة، والتي احتوت واشتملت على الكثير من المعاني الغزيرة والفوائد الجليلة في الاهتمام بالنفس وطرق إصلاحها وتزكيتها.

مشكلة البحث وتساؤلاته

يعاني الكثير من الناس من القصور في فهم تعاليم القرآن الكريم، وبيان أحكامه المتعلقة بإصلاح النفس البشرية، وسبل تهذيبها والرفع من شأنها، وبيان الأخطاء التي تقع منها وطرق تصحيحها، وإحياء روح الالتزام بها والدعوة إليها؛ لذلك فإن هذه الدراسة جاءت لعرض هذه المشكلة وتحليلها، وذلك من خلال ما تناولته آيات

[1] ينظرالسعدي،تيسير الكريم الرحمنج1، ص 256.

[2] يوسف: 108.

القرآن الكريم على وجه العموم، وما تناولته سورة العصر على وجه الخصوص. وحتى نصل إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما الأسس التي تقوم عليها شخصية الإنسان في القرآن الكريم؟

2. ما الطرق التي سلكها القرآن الكريم في إصلاح الإنسان وتقويم سلوكه؟

3. ما دور القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الحق والصبر والتواصي بهما؟

أهداف البحث

تتمثل أهداف هذه الدراسة في الوصول إلى الغايات التالية:

1. التعرف على الأسس التي تقوم عليها شخصية الإنسان في القرآن الكريم.

2. بيان الطرق التي سلكها القرآن الكريم في إصلاح الإنسان وتقويم سلوكه.

3. معرفة دور القرآن في دعوة الناس إلى الحق والصبر والتواصي بهما.

منهجية البحث :اتبع الباحثان المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك باستقراء النصوص الشرعية ذات العلاقة بالموضوع، واستنباط ما يتعلق بمفهوم إصلاح الإنسان.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسّم إلى ثلاثة مطالب وهي على النحو التالي:

المطلب الأول/ القوة العلمية وعلاقتها بالقوة العملية.

المطلب الثاني/ دور وسائل الإصلاح في تصحيح المفاهيم وتعديل السلوك.

المطلب الثالث/ لوازم الإصلاح من خلال لزوم الحق والصبر.

المطلب الأول: القوة العملية وعلاقتها بالقوة العلمية.

في هذا المطلب بيان العلاقة التي بين القوة العلمية والقوة العملية، ومعرفة التجانس الحاصل بينهما، ومنزلة الناس في الأخذ والالتزام بهما، والتوصل إلى الواجب معرفته اتجاههما.

أولا: التجانس الحاصل بين القوتين.

لمّا خلق الله تعالى آدم عليه السلام وهو أبو البشرية علمه الله تعالى أسماء كل شيء، وميّزه عن كثير من المخلوقات، وأسجد له ملائكته، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}[1]، وقد اهتمّ الإسلام بالعلم والعلماء في كثير من مواضع القرآن الكريم، فكان أول ما نزل على النبي من الوحي هو الحثّ على القراءة والتعلّم، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ }[2]، أي افعل ما أمرت به من القراءة، وربّك الذي أمرك بالقراءة هو الأكرم من كل كريم، ومن كرمه: تمكينك من القراءة وأنت أمّي. وإنما كرر كلمة اقْرَأْ للتأكيد، ولأن

[1] البقرة: 31.

[2] العلق: 1، 2، 3.

القراءة لا تتحقق إلا بالتكرار والإعادة، ثم قرن القراءة بالكتابة، فقال: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾}[1]، أي علّم الإنسان الكتابة بالقلم، فهو نعمة عظيمة من الله ﷻ، وواسطة للتفاهم بين الناس كالتعبير باللسان ولولا الكتابة لزالت العلوم، ولم يبق أثر لدين، ولم يصلح عيش، ولم يستقرّ نظام.[2]

ثم أبان عموم فضله وكثرة نعمه، فقال: {عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }.[3]أي علّم الله الإنسان بالقلم كثيرا من الأمور ما لم يعلم بها، فلا عجب أن يعلمك الله أيها النبي القراءة، وكثيرا من العلوم؛ لنفع أمتك.[4]

وقد بيّن الله تعالى في كتابه الكريم شرف العلماء وعظيم مكانتهم وأنهم أرفع الناس منزلة وأكثرهم خشية له سبحانه؛ قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[5]، وقوله:(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)[6].

وإذا كان فضل الله تعالى على الناس ببيان العلوم والمعارف، فإنه من الواجب على الناس مقابلة هذه النعمة الحاصلة في القوة العلمية، وتوظيفها في الامتثال إلى أمر

---

[1] العلق: 4.

[2] ينظر وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج30، ص 317.

[3] العلق: 5

[4] التفسير المنير، ج3، ص 318.

[5] المجادلة: 11.

[6] فاطر: 28.

الله تعالى وطاعته بالقيام بالعمل الصالح والسير على منهج الرسول الأكرم ﷺ كما ذكرها سبحانه في كتابه، قال تعالى: والْعَصْرِ{1} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)،[1] فبيّن سبحانه أن مصير الإنسان هو الخسران المبين، واستثنى من ذلك من اتصفوا بالإيمان الذي طريقه المعرفة بأركانه وشروطه، وهو المراد بالقوة العلمية المعرفية، ثم تقويتها بالعمل الصالح المتضمن تلك المعرفة، وهو ما يعرف بالقوة العملية، فهما أمران متلازمان متجانسان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، ومتى حصل انفكاك أو تأخر أحدهما عن الآخر حصل للناس الالتباس والتخبط ونقص الدين، وقد تناول القرآن الكريم صفة الإيمان ولزومها بالعمل الصالح في كثير من المواضع، كما هو الحال في سورة العصر، ومن التعبير القرآني للقوتين ما ذكره الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ }.[2] فالبشرية هي القوة المدركة، والانتشار هو القوة المتحركة المتصرفة،وهما صفتان أبعد ما تكونان من التراب[3]، فالبشرية تعني: القوة العلمية المدركة للعلوم والمعارف التي وهبها الله تعالى، وفي الانتشار إشارة إلى السعي في هذه الأرض بالأعمال المعبّر عنها بالقوة العملية، وفي قوله تعالى: (وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }[4]إشارتان،

---

[1] العصر: 1، 2 ،3.

[2] الروم: 20.

[3] ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج25، ص90.

[4] الشورى: 15.

إشارة إلى كمال القوة العلمية النظرية: (وقل آمنت بما أنزل الله)، وإشارة إلى كمال القوة العملية: (الله ربنا وربكم)[1]، كما أن في قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ)[2] دليل على أن الإنسان لا يقدم على فعل شيء من الأعمال إلا بعد معرفته معرفة تامة ويقينية، ثم يقوم بالعمل؛ لأنه لا يمكن أن يستغفر إلا بناء على علم ومعرفة، معرفة بما يستغفر ولمن يستغفر وعلى أي شيء، كما أنه لا يستغفر إلا بذنب أو خطإ قد عمله وهكذا، وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) [3]

والمتأمل أيضا في سورة الفاتحة يجدها جامعة للقوتين؛ ليتحقق كمال الإنسان وسعادته، يقول ابن القيم: " فمن تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً، فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين"[4].

وكمال قوته الإرادية: (لا يحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها إخلاصًا وصدقًا ونصحًا وإحسانًا ومتابعة وشهودًا لمنته عليه، وتقصيره في أداء

[1] ينظر المظهري، محمد المظهري ج8، ص314.
[2] محمد: 19.
[3] ينظر صحيح البخاري، ج1، ص24.
[4] ابن القيم، الفوائد ص27.

حقه).[1] وقد بيّن نبينا ﷺ هذا الأمر بقوله: (ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية)،[2] قال البدر العيني: (قوله: إني لأعلمهم، إشارة إلى القوة العلمية قوله:(وأشدهم له خشية) إشارة إلى القوة العملية).[3]

كما أن كمال الإنسان لا يكون إلا بكمال وتكامل كل من القوتين: العلمية التي تكمل وترتقي بالإيمان، والقوة العملية التي ترتقي وتكمل بالعمل الصالح،[4] يقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[5]، يقول ابن القيم: (أقسم سبحانه وتعالى بالدهر الذي هو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة على أن كل واحد في خسر، إلا من كمّل قوته العلمية بالإيمان بالله وقوته العملية بالعمل بطاعته فهذا كماله في نفسه، ثم كمّل غيره بوصيته له بذلك، وأمره إياه به وبملاك ذلك وهو

---

[1] المصدر نفسه ص25-26.

[2] أخرجه البخاري فيصحيحه، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث: 6101، ج8، ص26.

[3] البدر العيني،ج32، ص296.

[4] ينظر ابن القيم، جامع الآداب، ج3، ص9-10.

[5] العصر: 1-2-3.

الصبر، فكمّل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وكمّل غيره بتعليمه إياه ذلك ووصيته له بالصبر عليه).[1]

ثانيا: منزلة الناس في الأخذ والالتزام بين القوتين.

من خلال استعراضنا للقوتين العلمية والعملية ومدى تجانسهما وتلازمهما، فإننا لا نغفل جانب الناس وتفاوت منازلهم حول الالتزام والتمسك بهما، وفي هذا نجد ابن القيم– رحمه الله– يقسّم الناس من حيث هاتين القوتين إلى أربعة أقسام: قسم تغلب عليه القوة العلمية، وثَانٍ تغلب عليه القوة العملية، وثالث له القوتان معًا، ورابع ضعفت فيه القوتان. فذكر النموذج الأول، وهو من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها، وتكون أغلب القوتين عليه، وأن هذا النوع تجده ضعيفا في القوة العملية بحيث يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقّاها، وهو بهذا شارك الجهال في التخلف وفارقهم في العلم، وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمه الله ولا قوة إلا بالله، ثم ذكر القسم الثاني، والذي تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه، وتقتضي هذه القوة السير والسلوك والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والجد والتشمير في العمل، ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات في العقائد والانحرافات في الأعمال والأقوال والمقامات، كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات، فداء هذا من جهله، وداء الأول من فساد إرادته وضعف عقله، وهذا حال أكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين على غير طريق

[1] ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج1، ص25.

العلم، ثم بيّن القسم الثالث، وهو من كانت له هاتان القوتان، فاستقام له سيره إلى الله ورجي له النفوذ وقوي على رد القواطع والموانع بحول الله وقوته، وذكر النموذج الرابع وهو الذي يكون سيره ضعيفا وهمّته ضعيفة والعلم بالطريق ضعيفًا، والقواطع الخارجة والداخلة كثيرة شديدة، فإنه جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء، إلا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب، فيأخذ بيده ويخلصه من أيدي القواطع، والله ولي التوفيق.[1]

إن تنظيم العلاقة بين القوتين أمر واجب وشرعي؛ لأن التقصير في أحدهما يسبب الفساد، فالعلم والعمل سبب ونتيجة للآخر، وأنجع طريق لتثبيت مفاهيم العلم وتطبيقه وإخراجه إلى النور هو العمل، فكمال الإنسان في أن يعرف الحق والخير؛ لأجل العمل به، فالعلم والنظر والتدبر والتفكر تسبق العمل بل وأشرف منه، قال الرازي: (واستكمال القوة النظرية بالعلم واستكمال القوة العملية بفعل الخيرات، والقوة النظرية أشرف من القوة العملية، والقرآن مملوء من ذكرهما بشرط أن تكون القوة النظرية مقدمة على العملية؛ قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }[2]، فالحكم كمال القوة النظرية، (وألحقني بالصالحين) كمال القوة العملية).[3]

وبهذا يتبيّن: أن العلم والعمل هما الأساس التي تقوم عليها شخصية الإنسان في

---

[1] ينظر ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص287- 288.

[2] الشعراء: 83.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب،ج7، ص112.

القرآن الكريم، وأن من تمسك بهما، وأخذ بكل ما تضمنتهما أصبح من الموفقين لطريق الحق والهداية والإصلاح، ونال السعادة والأجر في الدارين، وأن من ترك أحدهما أو أخرهما كان من المخالفين لهدي القرآن الكريم ومنهج الرسول الكريم، والأشد من ذلك والأخطر من لم ينل من القوتين شيئا فهو من الخاسرين النادمين إلا أن يتداركه الله تعالى برحمة منه وفضل. فالله تعالى بيّن للناس طريق ما يصلحهم ويقوّمهم وترك الاختيار لهم، قال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً } [1].

المطلب الثاني: دور وسائل الإصلاح في تصحيح المفاهيم وتعديل السلوك.

إن تعديل السلوك من أهمّ أهداف القرآن الكريم، فالإسلام اهتمّ بالجانب السلوكي في شخصية الإنسان على ما جاء به الدّين من شرائع وأحكام تنظم حياة الإنسان، وتضبط حركته وسلوكه، وهي كلها تندرج تحت اسم الإسلام بمعناه الخاص، الذي يمثّل الجانب التشريعي لرسالة الإسلام، والوارد تعريفه في قوله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)[2]، وهذه أركان الإسلام التي يقوم عليها الجانب التشريعي للدّين من عبادات ومعاملات، ترتقي بالجانب السلوكي في الإنسان.

---

[1] الإنسان: 3.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. رقم الحديث8،ج1،ص36.

إن الإسلام بمعناه التطبيقي والعملي، ذو علاقة وثيقة بالسلوك، فالإسلام في الأصل يعني الانقياد والخضوع والتسليم، وهي معاني سلوكية، كما أنه في تطبيقه له علاقة بالجوارح.

إن ضبط الإسلام للجانب السلوكي من الممكن الاستدلال عليه من خلال ما يحمله لفظ الشريعة من دلالات تفيد معنى طريقة الاتباع والتطبيق ومنهج العمل يقول سبحانه: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }[1]، ويقول تعالى: (كُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)[2]. يقول القرطبي في بيان البعد السلوكي للفظ الشريعة: (والشرعة والشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة، والشريعة في اللغة: الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء. والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سنّ، والشارع الطريق الأعظم)[3]، وقد بيّنت هذه الآية أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد جعل لجميع الأمم شريعة يسيرون على أحكامها، وطريقًا ومنهجًا فُرض عليهم سلوكه، حسبما تقتضيه أحوال المجتمعات وطبائع البشر واستعداداتهم وتطور الأزمان، وإن كانت تلك الشرائع متّفقة في أصول الدّين وهي توحيده سبحانه وتعالى، وفي أصول الأخلاق والفضائل[4].

---

[1] الجاثية: 18.

[2] المائدة: من الآية 48.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص211.

[4] ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج6، ص217.

فالإسلام في صناعته للإنسان انتهج منهجًا يجمع فيه بين تصحيح المفاهيم وتعديل السلوك، المفهوم الذي يتعلق بالقوة العلميّة والسلوك الذي يتعلق بالقوة العملية، وهنا يحدث كمال الشخصية، وهذا الارتباط بين تصحيح المفهوم وتقويم السلوك هو ما دل عليه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[1]، وهو أصل جامع في التربية الإسلاميّة دلّ على ذلك مما روي عن سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال: قلت: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال: (قل: آمنت بالله، ثم استقم)[2].

إذاً فالإسلام كلّه دعوة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة والموروثات السيئة، وكذلك منهج في ضبط سلوكيات الإنسان، ترى هذه الدعوة في كل آية من آيات القرآن، وفي كل سنة عن النبي ﷺ، فالقرآن عالج أهمّ سلوك، وصوّب أدقّ فهمٍ ألا وهو علاقة الإنسان بربه، هذه العلاقة هي توحيده سبحانه وتعالى، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }[3] وقال: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)[4]،فهذا ما دعى إليه الرسل وبدأوا به رسالاتهم، وعن ابن عباس قال: قال ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذ جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا

---

[1] الأحقاف: 13.

[2] أخرجه النسائي في السنن الكبرى،كتاب الرقاق، حديث رقم 11776، ج10، ص380.

[3] الأنبياء: 25.

[4] النحل: 36.

الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[1]، ففي هذا الحديث توجيه من الرسول ﷺ إلى التدرج في دعوة الناس إلى الإسلام، فيبدأ من الأهمّ إلى المهم، ولما كان التوحيد هو أصل الإسلام ولا يصح بدونه أي عبادة، كان هو أول ما يدعى إليه غير المسلم، فإن أجاب دُعي إلى باقي العبادات.

إن إصلاح الإنسان يبدأ من العقيدة، ثم يتدرّج إلى جزئيات حياته المختلفة، فصلاح العقيدة يتفرّع عليه صلاح العبادة، فلا فائدة في بقية الأعمال مهما كثرت؛ لأن كل شيء يبنى على غير أساس فإنه ينهار، قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[2].

إذاً فالسلوك السويّ لا يتحقق إلا بفهم صحيح كعلاقة العمل بالعلم، فالقرآن اهتمّ في أول نزوله بتصحيح المفاهيم، فغيّرهم من الوثنيّة إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان ثمّ أمرهم بتعديل سلوكهم باتباع الأوامر واجتناب النواهي، من هنا كانت خطوة الإسلام الأولى في تغيير الواقع الجاهلي هي: (نفى الأفكار الجاهلية البالية، ثم رسم طريق الفكرة الإسلامية الصافية التي تخطّ للمستقبل بطريقة صحيحة)[3]،

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا، الحديث رقم: 1496، ج2، ص128.

[2] الزمر: 65.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة،ص81.

وهي من باب التخلية ثم التحلية. تخلية الشرك وتحلية التوحيد، وتخلية الرذائل وتحلية الفضائل.

فالعرب كانوا قبل الإسلام (شتيتًا متناثرًا لا يأتلف ولا يتجمع رغم وجود كل عوامل التجمع، من وحدة الأرض ووحدة البيئة ووحدة اللغة ووحدة المعتقدات ووحدة الثقافة، ووحدة التاريخ، ومن هناك التقطهم الإسلام")[1] بعقيدته الصحيحة ومفاهيمه النيّرة، فكانت هذه المفاهيم وتلك العقيدة هي التي كوّنت من مجتمعات الجاهلية الأولى الذين يحبّون الفوضى ويكرهون النظام وتشتعل حماستهم، ثم لا تلبث أن تنطفي صنعت منهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]

فكان لزاماً علينا كمسلمين إذا أرادنا أن نكون كما أرادنا الله تعالى كوننا خير أمة أخرجت للناس، أن ندعو جميع أبناء المجتمع الإسلامي إلى التمسّك بمنهج الرسول الأكرم الذي كان سببًا في نقل سلفنا الصالح من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن الظلم إلى العدل، ومن الباطل إلى الحق، ومن موروثات الجاهلية وعادتهم إلى مكارم الأخلاق، وتهذيب النفوس، وبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، وبالتالي لا يمكن لأمة- هذا حالها- أن تقوم أو تنهض إلا بالرجوع إلى سلفها الصالح

[1] محمد قطب، مفاهيم ينبغي أن تصحح، ص33-34.

[2] آل عمران: 110.

والوقوف على ما كان عليه هدي المصطفى، قال الإمام مالك –رحمه الله–: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)[1].

المطلب الثالث/ لوازم الإصلاح من خلال لزوم الحق والصبر

من خلال ما سبق علمنا أن الإنسان لا يمكن أن يصلح حاله ولا يقوّم سلوكه إلا بالمعرفة الحقيقية الجليّة بما هو مكلّف به من عند ربه تعالى، ومن ثمّ يقوم بالعمل المترتب على تلك المعرفة حتى يسير على منهج صحيح وطريق سليم خال من الأفكار والمفاهيم الخاطئة، ثم يأتي دور الدعوة إلى هذا الأمر على بصيرة وعلى علم يقيني قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[2]، وفي هذه الآية دليل على أن الداعي لا بد أن يدعو الناس على بصيرة وهي: (الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق)[3].

يقول الله تبارك وتعالى في سورة البلد: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ [4]، وفي سورة العصر قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

[1] الجوهري، مسند الموطأ، ص584.

[2] يوسف: 108.

[3] الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص240.

[4] البلد: 17، 18.

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[1]،آيتان عظيمتان تبيّنان المنهج الذي ابتعد عنه أغلب الناس، فالإيمان هو الأصل الذي تتفرع منه جميع الأصول، والعمل الصالح هو النتيجة الحتمية للإيمان الذي استقر في القلوب يقول سيد قطب: (فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج بصورة عمل صالح)[2].

فأثر الإيمان والعمل الصالح لن يؤتي أكله في الأمة الإسلامية إلا بالتّواصي بالحق والصبر، فالثبات على الحق ثقيل؛ لأن المحن تلازمه، فلذلك قرن به التواصي؛ لذا على الدعاة إلى الله أن يتواصوا بالحق الذي يحملونه ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل؛ لأن الحق لا يحق في أرض الواقع بمجرّد قناعتنا وإيماننا به فكم من فكرة حقٍ ضاعت؛ لأنها لم تجد من يضحّي ويصبر من أجلها.

وسنة التواصي سنة إلهية نبوية، أوصانا الله بوصايا، وأوصانا نبيه كذلك بوصايا، وأمرنا أن نتواصى بها فيما بيننا، قال تعالى:(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ)[3]،وقال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً)[4]، وغيرها من الآيات كثير، ومن الأحاديث التي ذكرت في السنة المطهرة ما أوصى به النبي

---

[1] العصر:3..

[2] السيد قطب، في ظلال القرآن ج6، ص3967.

[3] النساء:131.

[4] العنكبوت: 8.

ﷺ أبا هريرة في قوله: (أوصاني النبي ﷺ بالوتر قبل النوم)[1]، بل إن الإمام البخاري في صحيحه وضع كتابا سمّاه(الوصايا)، جمع فيه الكثير من أحاديث النبي الخاصة بالوصايا التي تدلّهم على الخير والفلاح، والحثّ على الظفر بالموصى به.

إن الناظر للقرآن الكريم وما تضمنه من سور وآيات يجد أن الله تعالى قد أقسم ببعض من مخلوقته العظيمة، كقسمه بالأزمنة لما فيها من عظمة الله وقدرته، فالعظيم سبحانه لا يقسم إلا بعظيم، ومن ذلك قسمه بالعصر في سورة العصر، وكذلك سورة الفجر والليل والضحى وغيرها، قال تعالى: (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ)[2]وقوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿﴾ [3]، وقوله: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً }.[4] وفي سورة العصر ربط الله تعالى بدايتها نهايتها وهي إشارة إلى ربط الزمن والعمر بالدعوة إلى الله تعالى؛ ذلك أن التواصي بالحق والتواصي بالصبر مربوط بزمن معين يدعو فيه الموصي نفسه وغيره بفعل الواجبات والطاعات والصبر عليها والدعوة إليها، وترك المحرمات والمعاصي والحذر من تتبع خطوات الشيطان إليها والوقوع فيها، وليس هذا فحسب بل الدعوة إلى التحذير منها ومن شرها وعاقبتها، وأن يستغلّ وقته كلّه في ذلك؛ لأنه مسؤول

[1]البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ساعات الوتر، الحديث رقم: 994، ج2، ص25.

[2]الفجر: 1، 2، 3.

[3]الليل: 1، 2.

[4]الفرقان: 62.

عنهكما قال ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[1]، وقد جعل الله تعالى الوقت مما تقوم به الحجّة على الخلق كما في قوله: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ)[2].

وفي هذا دليل على أن من أراد النجاة في هذه الدنيا والفوز بالجنة أن يهتم بالوقت، وأن يستغله في كل ما ينفعه في أمور دينه ودنياه، وأن يعمل بصالح الأعمال، والقيام بالدعوة على منهج الرسول محمد ﷺ.

والتواصي بالحق أن يوصي بعضهم بعضًا بلزوم الحق والتمسك به، قولاً وفعلاً واعتقادًا. قال الزمخشري: (بالأمر الثابت الذي لا يسوّغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته، واتباع كتبه ورسله، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة)[3]، وقال ابن كثير: (وهو أداء الطاعات وترك المحرمات)[4].

وأما قوله: (وتواصوا بالصبر) أي: أنه يوصي بعضهم بعضًا بالصبر على فعل الطاعة وترك المعصية مع إيمانهم وعملهم الصالح، وذلك في حال اجتماعهم وحال تفرقهم[5].

---

[1]أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب في القيامة، الحديث رقم 2417، ج4، ص612.

[2]فاطر: 37.

[3]الزمخشري، الكشاف، ج4، ص800.

[4]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج14، ص452.

[5]ينظر عبد القادر ملاّ، بيان المعاني، ج1، ص274.

وفي التواصي بالصبر والثبات عليه نجد أن الله تعالى قد أشار إلى مثل هذا في قوله سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ }[1]، وهو بهذا يبين أن الأئمة لم يتصدّروا للإمامة، ولم يصبحوا أهلا لحمل رسالة الدعوة إلا بشيئين وهما: الصبر على الأذى بشتى أنواعه وتحمله، وكذلك اليقين والإيمان التام بصحة ما يدعون إليه، ونفعه ونجاعته[2].

وقد ذكر الألوسي في تفسيره أن التواصي بالصبر يكون في الصبر عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية، وكذلك الصبر على الطاعات التي يشق عليها أداؤها وعلى ما يبتلي الله تعالى به عادة من المصائب[3].

وفي هذا إشارة إلى تقسيم الصبر إلى ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة لما فيها من المشقة الحاصلة، وصبر على المعصية لما فيها من الفطرة المجبولة عليها النفس البشرية، وصبر على المصائب التي تتطلب من العبد الثبات، والصبر لما نزل عليه من المكاره وتفويض الأمر لله تعالى والرضا بقضائه وقدره، ومن هذا النوع ما قاله النبي ﷺفي حق المرأة التي مر عليها وهي تبكي عند القبر: (اتقي الله واصبري)[4]وذلك بترك الجزع المحبط للأجر.

---

[1]السجدة: 24.

[2]ينظر الجزائري،أيسر التفاسير، ج4، ص 235.

[3]ينظر الألوسي، روح المعاني، ج30، ص229.

[4]البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبري، الحديث رقم 1252، ج2، ص 73.

وقد أشار الألوسي إلى أن: (الصبر المذكور في الآية داخل في الحق وأن ذكره بعده مع إعادة الجار والفعل المتعلق هو لإبراز كمال العناية به، ويجوز أن يكون الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل مايُرضى الله تعالى، والثاني عبارة عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق إليه من فعل أو ترك، بل هو تلقي ما ورد منه ﷻبالجميل والرضا به باطنًا وظاهرًا).[1]

فالداعية إلى الله تعالى لا بدّ أن يتسلّح بسلاح الحق ومعرفته معرفة واضحة جلية، والصبر على كلّ الشدائد التي قد تواجهه، أو على أيّ أذًى قد يلحقه، وخاصة ممن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر. ذلك أنه من العادة أن يلقى الداعية إلى الله تعالى بعض الرفض والأذية من المدعوين، وعدم تقبل نصحه وإرشاداته، فأمرهم الله تعالى بالصبر والثبات على الدعوة، وعدم التضجر والسخط وضعف الهمّة والعجز، فعليهم البيان والبلاغ، وعلى الله الحساب، قال تعالى: (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)[2].

إن صلاح العمل مرتبط بصلاح الإيمان، وصلاحهما معًا يوجب التمسّك بالحق والتواصي به، ولزومه الصبر والتواصي به. فالصبر بالنسبة للإيمان كمنزلة الرأس من الجسد. وأن من لا صبر له فلا إيمان له. قال علي بن أبي طالب ﷺ: (ألا إن

[1] تفسير الألوسي، روح المعاني، ج30، ص229.

[2] الرعد: 40.

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له)[1].

وبهذا فإن هذه السورة شملت أربعة مراتب يكون فيها العبد المسلم في غاية الكمال الإنساني، وأنه في ربح دائم في دينه ودنياه وآخرته، وهي تتضمّن تحقيق التوحيد والإيمان بالله تعالى وما جاء به والمتمثل بالقوة العلمية، ثم تأتي المرتبة الثانية المترتبة في العمل الصالح وترك المحرمات، وعدم الغوص في الشبهات وهي المتمثلة في القوة العملية، ثم التواصي بالحق، والتواصي بالصبر والثبات عليه، يقول الشيخ السعدي في تفسيره: (والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خاسرًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحقّ الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمّم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به، والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلّها الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده الواجبة والمستحبة، والتواصي بالحق الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثّه عليه، ويرغبه فيه، والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة، فبالأمرين الأوّلين، يكمّل العبد نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمّل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم)[2].

---

[1] سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص452.

[2] السعدي،تيسير الكريم الرحمن، ج7، ص 670.

إن الخسارة الكبرى والمصيبة العظمى التي لا جبر فيها ولا عوض هي التي تلحق الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[1]، وأن الفوز العظيم الذي لا يقدر بثمن هو لزوم السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك عن طريق لزوم المراتب الأربعة التي ذكرت في سورة العصر –كما أسلفنا– وبهذا ينال الإنسان السعادة في الدنيا ونيل رضا الله تعالى في الآخرة والفوز بجنته والسلامة من عذابه والنجاة من ناره، وهذا هو مبتغى كل عبد مؤمن يرجو رحمة ربه ويخاف عقابه، نسأل الله تعالى التوفيق والسداد لما فيه خيري الدنيا والآخرة.

النتائج

من أبرز النتائج التي برزت للباحثين:

1. سورة العصر رغم قصرها واشتمالها على ثلاث آيات فقط، فإنها عظيمة جدًّا في المعاني والكلمات والدلالات العميقة التي وردت فيها، قال الشافعي: "إنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم، وهو معنى قول غيره: إنها شملت جميع علوم القرآن"[2].

2. كمال سعادة الإنسان في الدارين لا تتحقق إلا بأربعة مراتب: معرفة الحق– العمل به–تعليمه للناس–الصبر على التعلُّم والعمل والتعليم. كل هذه المراتب ذكرها

[1] الزمر: 15.

[2] البقاعي، نظم الدرر ج22، ص 234.

الله في هذه السورة وأقسم بالعصر أن الإنسان لفي هلكة إلا من آمن وعمل صالحا وعرف الحق وصدّق به.

3. سلوك الإنسان لا يتعدل إلا بتصحيح المفاهيم، فالبناء الصلب لا يكون على مفهوم قاصر، قال محمد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى:(وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ } ما نصّه: " تزكيته إياهم هي تطهيرهم من العقائد الزائغة ووساوس الوثنية وأدرانها، والعقائد هي أساس الملكات، ولذلك نقول: أن العرب وغيرهم كانوا قبل بعثة محمد ﷺ ملوّثين في عقولهم ونفوسهم "[1].

4. أن على الداعية إلى الله تعالى أن يسير على منهج القرآن الكريم في اتباع الحق والوقوف عنده وعدم تجاوزه إلى غيره، وإكمال ذلك بقيامه بصالح الأعمال حتى يكون قدوة حسنة لأهله خاصة، وللناس المستهدفين بالدعوة عامة، كما عليه أن يتجمّل بالصبر على أذى الناس والمعارضين لدعوته منتهجًا في ذلك طريق رسل الله تعالى والصالحين من عباده.

[1] محمد رشيد رضا، تفسير المنار ج4، ص 183.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. أبوالقاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن محمد الجوهري، **مسند الموطأ**، تحقيق: لطفي الصغير، وطه بو سريح، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ط/1، 1997م.
2. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط/1، 1421هـ–2001م.
3. أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/2، 1384هـ – 1964 م.
4. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة– بيروت، ط/1، 1422هـ.
5. البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة.
6. جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط/5، 14249هـ– 2003م.
7. سليمان بن عبد الله، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، مكتبة الرياض الحديثة– الرياض.
8. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق – بيروت، ط/17، 1412هـ.
9. شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت، 1415هـ.

10. عبد الرحمن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، تحقيق محمد زهدي النجار، ط/1، 1408هـ-1988م.

11. عبدالقادر بن ملّا آل غازي، **بيان المعاني**، مطبعة الترقي- دمشق، 1382هـ.

12. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد محمد، مؤسسة قرطبة – الجيزة، ط/1، 1412هـ-2000م.

13. مالك بن نبي، **شروط النهضة**، دار الفكر-دمشق، 1986م.

14. محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر – بيروت، 1415هـ- 1995م.

15. محمد بن أبي بكر ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ط/2، 1395هـ-1975م.

16. محمد بن أبي بكر ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، دار الفكر.

17. محمد بن أبي بكر ابن القيم، **الفوائد**، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد- مكة.

18. محمد بن أبي بكر ابن القيم، **جامع الآداب**، تحقيق: يسري السيد محمد، دار الوفاء- مصر، ط/1، 1423هـ- 2002م.

19. محمد بن أبي بكر ابن القيم، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق: عمر ابن محمود أبو عمر، ط/2، 1414هـ-1994م.

20. محمد بن عمر فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/3، 1420هـ.

21. محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

22. محمد ثناء الله المظهري، **تفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي تونسي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، 1425هـ– 2004م.

23. محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

24. محمد قطب، **مفاهيم ينبغي أن تصحح**، دار الشروق – بيروت، ط/8، 1415هـ – 1994م.

25. محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ.

26. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

27. وهبة بن مصطفى الزحيلي،**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر– دمشق، ط/2، 1418هـ.